مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
مجلد: 12 عدد: 01 السنة 2020 ص 111 - 126

تاريخ الإرسال: 2019/04/06 تاريخ القبول: 2019/09/16
تاريخ النشر : 2020/01/08

العمارة المعاصرة للمسلمين بين الأصالة والتقليد

Contemporary architecture of Muslims between originality and tradition

أ.د. باجو مصطفى
جامعة غرداية mubajou@yahoo.fr
طالب دكتوراه. كعبوش زكرياء
جامعة غرداية kzk81@live.fr

ملخص:

تهدف الشريعة الإسلامية في مجال العمران إلى مراعاة قيم سامية تراعي الستر وحفظ الحرمات وعدم التكشف للغير، كما تراعي أيضا حقوق الجوار والطريق ودفع الضرر عن الناس وغيرها من الأحكام النبيلة.

ومما تتشكل منه هوية الأمة الإسلامية وثقافتها فن العمارة والبناء، إلا أن الحضارة الغربية غزت هذا الجانب وجردت العمارة الإسلامية من هويتها الحضارية وقيمها الأصيلة، وقلد كثير من المهندسين المسلمين هذه التصاميم المستوردة دون وعي بمبادئهم في هذا المجال.

ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على مفهوم العمارة الإسلامية وضوابطها التي ينبغي أن تتقيد بها للحفاظ على الموروث الحضاري العمراني للمسلمين.

كلمات مفتاحية: العمارة، الإسلام، الأصالة، المعاصر، التقليد.

Abstract : Islamic civilization has its unique character in architecture according to the values taught by this religion, like preserving the sanctity of one another, modesty, considerate

treatment toward neighborhood, rights of the way and so on. All this are parts of Islamic culture. While Western civilization doesn't care about all this values, many Muslim architects learn this new architecture and try to imitate it in their countries regardless of their culture and Islamic identity, that makes a real problem.

In this paper we try to clarify something about the meaning of Islamic architecture and its characteristics, In order to preserve this beautiful knowledge in Islamic civilization.

Keywords: civilization, architecture, religion, tradition

مقدمة:

شهدت الكثير من المجتمعات العربية والإسلامية في الآونة الأخيرة تحولا جذريا في منظومة قيمها، واستبدلت جملة من القيم الإسلامية بقيم عصرية، فأصبح الفرد المعاصر اليوم يعيش بين ثقافتين متباينتين: إحداهما منبعثة من حضارته الإسلامية المجيدة، وثانيهما تأتيه من حضارة عصره و تأثره بواقعه المعيش؛ كما شهدت معظم البلدان الإسلامية استقدام أنماط حديثة في فن العمارة والبناء.

والتساؤل الذي يمكن طرحه في ظل هذا الواقع:

هل تتوافق الأبنية السكنية المعاصرة للمسلمين مع موروثهم الحضاري؟ وهل تراعي هذه الأبنية القيم والضوابط الإسلامية للعمران؟

للإجابة عن هذا التساؤل يحاول البحث التطرق إلى مفهوم العمارة الإسلامية وإلى جملة من خصائصها وضوابطها، كما يسلط الضوء على واقع عمارة المسلمين اليوم وعلى تحدياتها المعاصرة.

أولا: معنى العمارة ومفهومها الإسلامي:

نحاول التعرف على مدلول العمارة في اللغة والاصطلاح ثم مفهوم العمارة الإسلامية.

1. مفهوم العمارة:

تعرف العِمارة في اللغة بأنها: نقيض الخراب والبنيانِ وما يحفظ به المكان، وتطلق على المبنى الكبير الذي يتكون من جملة مساكن في طوابق متعددة، وتجمع في عمائر[1]؛ واستعمر الله تعالى عباده في الأرض: طلب منهم إحياءها وتحسين حالها بواسطة البناء والفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجاح الأعمال والتمدن[2]، ويقال: عمر الله بك منزلك يعمره عمارة وأعمره: جعله آهلا، وعمر الخراب يعمره عمارة: أحياه، والعُمر: الحياة، وسمي الرجل عُمَرا تفاؤلا أن يبقى[3]، فالعمارة في اللغة تفيد معنى البناء والتشييد والتزيين والغرس وإحياء الأرض وإصلاحها.

أما في الاصطلاح، فقد تبلور مفهوم العمارة وتطور أسلوب البناء ونمَا عبر المراحل التاريخية للإنسان ليلبي حاجاته الاجتماعية والنفسية، فقد لجأ الإنسان البدائي إلى المغارات لتحميه من الظروف القاسية للطبيعة، وعند انتقاله إلى مرحلة تربية المواشي والزراعة بحث عن مسكن قريب من مصدر مائي يتلاءم واشتغاله بالرعي والزراعة، واستعان بما تمنحه له الطبيعة من مواد البناء ليستغلها في بناء مسكنه.[4]

ومنذ ذلك العهد لا يزال الإنسان يطور أساليب البناء ويبتكر عناصر معمارية جديدة، مثل العقود والقباب والأقبية وغيرها، وبعد تلك الفترة عُرفت العمارة بعدة تعريفات نذكر بعضا منها، فقيل بأنها: «فن تشييد المنازل ونحوها وتزيينها وفق قواعد معينة»[5]، فتكون وظيفة هذه العمارة استيعاب النشاط الإنساني كالإسكان والعبادة والعمل والدفاع.[6]

وعرفت أيضا بأنها: «تشييد مبانٍ تتوفر فيها شروط الانتفاع والمتانة والجمال والاقتصاد، وتفي باحتياجات الناس المادية والنفسية والروحية، الفردية منها

والجماعية، في حدود أوسع الإمكانيات وبأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه».[7]

والذي يستخلص من هذه التعريفات أن مفهوم العمارة يقصد به المهنة التي تختص بتهيئة البيئة المادية وتضبط كيفيات تشييد المنازل والمنشآت العامة بالاعتماد على أحسن الوسائل الإنشائية المتاحة من أجل تحقيق منفعة الإنسان ورفاهيته وأمنه النفسي؛ والملاحظ على هذه التعريفات حصرها مفهوم العمارة في بناء المساكن والمنشآت العامة كالمساجد ودور الدفاع وأماكن العمل.

بينما نجد تعريفات وسعت مفهوم العمارة ولم تحصره في بناء المساكن فقط، فقيل بأنها: «البنيان وما يُشيَّد به البلد ويَحسُن حالُه بواسطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجاح الأعمال والتمدن»[8]، فهذا التعريف أضاف إلى جانب بناء المساكن وتشييد المنشآت العامة ودور التجارة والصناعة عمارة الأرض بما يصلحها ويحييها من زراعة وفلاحة واستصلاح.

وبهذا يكون مفهوم العمارة أقرب إلى مفهوم العمران الذي يطلق على كل الإنشاءات المعنوية والحسية التي يقوم بها الإنسان تحقيقا لمقتضى عبوديته لله I وتحقيقا لوظيفة الاستخلاف في الأرض وحمل الأمانة[9]، وقد جاءت دلالات العمران في القرآن الكريم بما يفيد سكنى الإنسان في مكان والإقامة فيه وإصلاحه وتوظيف قدراته وإمكاناته لإقامة الحياة البشرية وفق مقاصد شريعته.[10]

ووردت ألفاظ وعبارات مختلفة في آي القرآن الكريم تفيد معنى الإعمار والتعمير، من ذلك قوله Ψ: (وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) [سورة الروم: 09]، أي أن عمارة قريش للأرض بالغرس والبناء تتضاءل أمام عمارة الأمم السالفة من عاد وثمود، فقد شيد قوم هود υ القصور والحصون وبنوها في المرتفعات ظنا منهم أنهم مخلدون في هذه الأرض،[11] فقال I عنهم: (أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ

مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ) [سورة الشعراء: 128–129]؛ وورد لفظ العمارة في قوله Y: (هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) [سورة هود: 61]، فهو سبحانه منشئ خلقكم ومُلهمُكم عمارة الأرض بالحرث والغرس وحفر الآبار وغيرها.[12]

ويعد إعمار الأرض من المهمات الأساسية للإنسان، ومظهرا من مظاهر تحقيق العبودية لله I: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [سورة الذاريات: 56]، يقول الإمام الطاهر بن عاشور في تفسير هذه الآية: «فالمعنى أن الله I مستغن غنىً مطلقاً فلا يحتاج إلى شيء، فلا يكون خلقه الخلقَ لتحصيل نفع له ولكن لعمران الكون وإجراء نظام العمران باتباع الشريعة التي يجمعها معنى العبادة».[13]

فالدور العمراني للإنسان فردا كان أو جماعة يكمن في العمل والسعي لإصلاح الأرض وإعمارها مع إبداع متواصل ووعي تام وإيمان راسخ يحقق للأمة الإسلامية التمكين والاستخلاف الموعود في الدنيا والجزاء الأوفى في الأخرى، قال الله Y: (وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) [التوبة: 105]، وعن أنس بن مالك τ قال: قال النبي ρ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[14]، وفي هذا دلالة واضحة على الحث على العمل وإعمار الأرض في لحظات العسرة مثل قيام الساعة بله الأوقات الأخرى لما يكون المسلم في حِلٍّ وسعة من أمره.

2. مدلول العمارة الإسلامية:

تختص العمارة بالمهنة التي تقوم بتهيئة البيئة المادية وتضبط كيفيات تشييد المنازل والمنشآت العامة بالاعتماد على أحسن الوسائل الإنشائية المتاحة من أجل تحقيق منفعة الإنسان ورفاهيته وأمنه النفسي، وإضافة كلمة "الإسلامية" إلى العمارة تخصيص لمصطلح العمارة العام لكي يشمل العمران الذي ينضبط بضوابط الشريعة

الإسلامية في التصميم والبناء، ويتناسب مع رغبة المسلمين في تشييد مبان تتناسب مع قيمهم وحضارتهم؛ فالعمارة الإسلامية –إذن– هي البناية التي تحافظ على ثوابت الشريعة الإسلامية، وتُسخر المتغيرات لخدمتها وفق تطور العصور بما يتلاءم مع هذه المبادئ والقيم.[15]

ووصف العمارة بأنها إسلامية يقصد منه التذكرة المستمرة بالمعنى المميز المرتبط به، وبمجرد شيوع المعنى الفعلي المميز لكلمة العمران فيمكن لصفة الإسلامي أن تتوارى بهدوء من الاسم لتظهر في التصاميم والهياكل التي ينجزها المعماري المسلم والتي تساعد في ازدهار الحياة البشرية في إطار تعاليم الإسلام ومبادئه.[16]

وأوردت الموسوعة الإسلامية المصرية مفهوم العمارة الإسلامية بأنه: «كل ما يُبنى على وجه الأرض بهدف التنمية العمرانية التي تسعى إلى خدمة الفرد والمجتمع، وتستجيب لكافة متطلباته السكنية والإدارية والثقافية.. ولا تتعارض مع العقيدة الإسلامية».[17] ويؤخذ على هذا التعريف إيراده لفظة "العمرانية" –وهو الحد المعرف به– في التعريف وهذا غير مقبول لأنه يؤدي إلى الدور.

ومن الباحثين من يطلق تسمية العمارة الإسلامية على العمارة التي أنجزت في المناطق التي وصلها الإسلام واعتنق أهلها هذه الشريعة، إذ إن المسلمين استفادوا في بداية عهدهم بتجارب الأمم التي دخلها الإسلام وتأثروا بفنون تلك الأمم، خصوصا وأن العرب لم يصلوا إلى تلك الأساليب المتطورة في مجال العمارة والبناء وما يتبعها من الزخارف المتنوعة، حيث قام المعماري المسلم باستغلال تلك التجارب وصياغتها وتطويرها حسب احتياجاته وضوابطه الإسلامية.[18]

ويرى بعض الباحثين أنه لا ينبغي وصف المباني والعمائر التي بنيت في مختلِف مناطق العالم الإسلامي عبر التاريخ بأنها إسلامية أو يطلق عليها مصطلح

العمارة الإسلامية، وإلا جاز لنا القول بوجود ما يسمى بالعمارة البوذية أو الهندوسية أو اليهودية وما شابه ذلك، وحجتهم في ذلك عدم الربط بين العمارة والدين بصفة عامة. بينما يرى آخرون بأنه توجد عمارة إسلامية تتمثل في مجمل المباني والمدن التي يحفل بها العالم الإسلامي ومناطقُه بما فيها البلاد التي كانت جزءا منه في فترة من الفترات كالأندلس وصقلية، إلا أن النظرة الشكلية تغلب على أرباب هذا الرأي حيث أصبحت العمارة الإسلامية في نظرهم ما تمتاز به بعض المباني الأثرية من خصائص وعناصر معمارية وزخرفية كالأقواس والقباب والمآذن والقصور وغيرها.[19]

وهذا الذي يجده الناظر في الكتب التي تؤرخ للأنواع المختلفة من العمارة على مر العصور، فإن اسم العمارة الإسلامية كثيرا ما يطلق على المنشآت الضخمة التي بنيت وتميزت بها البلاد الإسلامية منذ زمن بعثة الرسول ρ إلى وقتنا الحاضر، مثل المساجد والقصور والقلاع والمدارس والحمامات العامة والمقابر، بالرغم من أن هذه المنشآت الضخمة لا تمثل إلا نسبة ضئيلة من العمران في الجملة إلا أنها حظيت باهتمام الباحثين المسلمين أو المستشرقين، فهل هذه المباني فقط هي العمارة الإسلامية؟ [20]

والذي يظهر للباحث أن العمارة الإسلامية إنما تطلق على المباني المنضبطة بفقه العمران وخصائصه المتقيدة بتعاليم الشرع الحنيف، ولا يمكن حصر مفهوم العمارة الإسلامية في بناء المساجد أو تزيين المباني بالأقواس والزخارف فقط، وهذا يدل على اختلال في فهم العمارة وفي فهم معنى شمولية الإسلام.

أما العمائر التي لم تلتزم تلك الضوابط ولو وجدت في جغرافية البلاد الإسلامية فإنه يمكن أن يطلق عليها مصطلح عمارة المسلمين، إذ المسلمون يقطنون هذه العمائر ويسكنونها، بينما عمارتهم لا يمكن وصفها بالإسلامية ما دامت لم تستوف تعاليم الشريعة الإسلامية ولم تنضبط بضوابطها في فقه العمران؛ لأن

الإسلام دين شامل، فقد أطّر العلاقة بين العبد وربه وبين العبد ومجتمعه ولم يهمل نظام حياة المسلم ومعيشته ومنها أسلوب عمارة الأرض بصفته خليفة لله فيها.

ثانيا: خصائص العمارة الإسلامية ومميزاتها:

ينبغي أن تتميز هيئة العمارة بضوابط وخصائص تحفظ لها شخصيتها الإسلامية. ويقصد بخصائص العمارة الإسلامية تلكم الصفات الشخصية والطابع الخاص الذي تتميز به العمارة الإسلامية عن سائر العمارات بحيث تحقق الخصوصية لساكنيها، وتتقيد بالأحكام الشرعية للبناء مثل مراعاة الحرمة وعدم التكشف وكف الضرر عن الجار.[21]

ومما اعتنى به الإسلام تربية ضمير المسلم وتنمية الوازع الديني لديه، مما يولد عنده شعورا ومراقبة ذاتية لتصرفاته في جميع الميادين لاسيما تجسيده القيم المدنية في مجال العمران؛ وقد أوصت النصوص الشرعية بالاهتمام بمصلحة المجتمع وعدم الإضرار بالغير، ومن ذلك إماطة الأذى عن الطريق والمحافظة على نظافة المحيط والأماكن التي يجتمع فيها الناس ويستظل بها المارة بعدم التبول والتبرز أو إلقاء القمامات فيها.

وسنحاول فيما يأتي عرض خاصية واحدة من الخصائص التي ينبغي أن تكون عليها هيئة العمارة الإسلامية وهي مراعاة الحرمة والستر في البيوت.

1. ضرر التكشف والإطلال على البيوت:

يشترط في المسكن أن يتوفر على خاصية ستر ساكنيه عن أعين الناس وأسماعهم، وكذا ستر متاعهم وغير ذلك مما يكرهون اطلاع الناس عليه؛ ولذلك أمر الله بغض البصر وحفظ الفرج بعد آية الاستئذان قبل دخول مساكن الغير فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [سورة النور: 28]، إلى أن يقول I: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا

مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) [سورة النور: 30]، فالبيوت ساترة لأصحابها كما تسترهم ثيابهم، ومن حِكم هذا التشريع تحاشي الاطلاع على عورات الناس وإحراجهم وإزعاجهم.[22]

ويقصد بالعورة التي يسترها المسكن عورة البدن وغيرها من عورات المشاعر والحالات النفسية مثل عورة اللباس والأثاث والطعام التي لا يحب أهلها أن يفاجئهم عليها الناس دون استعداد وتهيؤ[23]، فخصوصية بيت المسلم توجيه شرعي يجب أن يراعى عند تصميم المسكن، وتظهر هذه الخصوصية في تصميم هذه المساكن ومراعاة الستر داخلها وخارجها، وفيما يأتي تفصيل ذلك.

2. المدخل المنكسر للمنزل:

مما يعتنى به في تصميم المساكن والبيوت عند المسلمين المداخل (وتسمى السقيفة)، وتكون عبارة عن ممر على شكل منكسر يؤدي إلى الفناء أو إلى داخل المنزل. وصمم على هذا الشكل لحجب داخل المسكن عن أعين الأجانب درءا للتكشف والاطلاع على ما في البيوت من عورات، ويكون الانكسار في الغالب أفقيا وأحيانا رأسيا بواسطة الدَّرَج؛ وهذا على عكس النمط الغربي في البناء الذي يكشف للزائر كل ما بداخل البيت بمجرد الدخول من الباب الرئيس دون مراعاة حرمة أو خصوصية أو ستر.

وتجدر الإشارة إلى ضرورة تخصيص جناح خاص لاستقبال الرجال والضيوف يكون منعزلا عن باقي أجنحة البيت من حيث المدخلُ والمرافق، مراعاة لحرمة أهل البيت من نظر الغرباء والتزاما بقيم الإسلام في ضبط العلاقة بين الجنسين.[24]

3. منع تقابل الأبواب والنوافذ بين المنازل:

يغلب على البيوت قديما في البلدان الإسلامية اعتمادها نمط التهوية والإضاءة الداخليين، ويندر فيها استحداث نوافذ وفتحات في الجدران الخارجية لها، وإن ألجأت الضرورة الملحة إليها فينبغي أن تكون مرتفعة وضيقة، أو تكون النوافذ مزودة بالزجاج الملون أو بشبابيك وستائر تسمح بإدخال الهواء والشمس وتحجب النظر عن مشاهدة ما بداخلها.

ويخضع وضع الأبواب الخارجية للمنازل إلى اعتبار السترة بين الجيران حيث يغلب على مواقعها ظاهرة التنكيب[25]، وهي تفادي تقابل بابين في شارع واحد خاصة إن كان ضيقا[26]؛ كما يعتبر غياب أماكن الجلوس أو ندرتها وكذا التجمع في الشوارع السكنية صورة أخرى لهذا الاعتبار، عملا بحديث رسول الله ρ الذي ينهى عن الجلوس في الطرقات بسبب إشرافها على البيوت وعلى المارة وإخلالها بالسلوك الاجتماعي الإسلامي.[27]

ومن الإسقاطات المباشرة للاهتمام بحرمة البيوت وحفظها من أبصار الغرباء تقييد فتح الحوانيت داخل التجمعات السكنية وإبعاد الوظائف التجارية والصناعية عنها.[28]

4. السطوح المستورة:

يغلب على معظم الدول الإسلامية العربية المناخ الحار مما يضطر السكان لاستعمال السطوح لمختلف الأنشطة المنزلية، وهذا يقتضي حفظها وحمايتها من الأنظار الخارجية بجدران يكون ارتفاعها مناسبا لمطلب السترة، ويَقضي العرف المحلي في وادي مزاب (مدينة غرداية) بالجزائر أن تخصص السطوح للنساء تعويضا لهن عن الخارج وتسهيلا للاتصال بينهن، ويَمنع الرجالَ من الصعود إلى السطوح إلا بالاستئذان وذلك بإحداث صوت يُسمع من الجيران إيذانا منهم بطلب

الصعود إلى السطح لإصلاح عطب أو إنجاز بناء... حفاظا على حقوق الجار وخصوصيته وحرمته.[29]

ثالثا: التهجين الثقافي في عمارة المسلمين المعاصرة:

شهدت معظم البلدان الإسلامية في القرن الماضي استقدام أنماط غربية حديثة في فن العمارة والبناء لا تتوافق مع الموروث المعماري للحضارة الإسلامية، وقد انتشرت هذه الأنماط في أغلب الحالات عن طريق الاحتلال المباشر، ولعل أبسط صور هذه الحالة أنماط البناء التي أقامها الاحتلال الفرنسي بقرب المدن العتيقة في مدن المغرب الإسلامي أو داخل تلك المدن بعد هدم أجزاء منها.

هذه المدن الإسلامية المعاصرة تعاني من عدم تناسب أنماط البناء وتصاميمها مع الكثير من مبادئنا وسلوكياتنا الاجتماعية، ولعل مشكلة التكشف هي أبرز صورة من صور هذا التضارب، فالنمط الغالب على المباني المعاصرة هو النموذج المفتوح للخارج من جهاته الأربع الذي لا يعير أدنى اهتمام للخصوصية والتستر[30]؛ ومن الأمثلة على ذلك ما شهدته القاهرة من تحولات فضائية جذرية كان الهدف منها تنظيم المدينة على صورة باريس وباقي مدن أوروبا. ويصف لنا الكاتب "مبارك علي باشا"[31] هذه المرحلة أحسن وصف لكونه عايش تلك الأحداث وتفاعل معها.

فقد ذكر أن المدينة كلها شهدت سلسلة من الأشغال العامة التي مست الشوارع والساحات العامة وواجهات المباني، واتبع الناس في بنائهم الأشكال الرومية وهجروا الأسلوب القديم لِما رأوا في الأسلوب الجديد من بهجة المنظر وحسن الوضع؛ ومما يظهر تبني النموذج الغربي المتفتح على الخارج استبدال الناس المشربيات (وهي ستائر خشبية توضع على النوافذ وتحافظ على الحرمة والتستر)

بشبابيك مستطيلة من حديد عليها نوافذ زجاجية مما يعني أنها تقتصر على الجانب الأمني فقط ولا تراعي الحرمة ولا تهتم بمسألة الاطلاع والتكشف.[32]

ومن بين المخاطر المحدقة بالعالم الإسلامي تلكم التي تكون في أنماط البناء والعمارة وتخطيط المدن والشوارع والفنادق وأماكن السياحة بما تحمله من مبادئ وأفكار وقناعات تهدف إلى الغزو الفكري والتبعية الثقافية.

هذا النمط العمراني المستورد يؤدي بالإنسان إلى تحطيم قيمه وضوابطه الشرعية بصمت وهدوء، ويشجعه على الانكشاف وظهور العورات، فهو بذلك يحدث قطيعة تاريخية وتراثية في مسيرة الأمة الحضارية، ويطمس على وجه شخصيتها ويخرجها عن دينها وأعرافها الاجتماعية وموازينها الشرعية، ويؤدي شيئا فشيئا إلى إلغاء الخصوصيات الثقافية ويصنع القابلية للتلقي الحضاري والثقافي عن الآخر، وبذلك يمتلك القدرة على التحكم في الأجيال الصاعدة التي تنشأ في نمط حضاري غير إسلامي.[33]

ولعل الكثير من المتخصصين بهندسة العمارة والبناء من المسلمين أسهموا مساهمة سلبية في استقدام أنماط العمران الغربي إلى المجتمعات الإسلامية لأنهم تخرجوا في معاهد الغرب، وكانت دراستهم مرتهنة لنمط العمران غير الإسلامي، وهم يفتقدون إلى المرجعية الدينية وفقه الأحكام المتعلقة بعمارة الأرض ليكون بناؤهم متوافقا مع الضوابط الفقهية ومحققا للمقاصد الشرعية.

ومما ينبغي الاعتناء به اليوم بعد اتساع دوائر المعرفة وتعدد التخصصات العلمية إقامة مراكز بحوث ودراسات يتم التكامل فيها بين التخصصات المتعددة، وتحقق للمتخصصين قدرا من المرجعية الشرعية، وتسهر على مراقبة الإنتاج في شتى الميادين، ولا تسمح بمرور ما لا يتوافق مع القيم والمبادئ الشرعية والاجتماعية.[34]

ومن الملاحظ اليوم أن الفن المعماري بدأ ينكمش مفهومه أكثر فأكثر وغُيبت وظيفته حتى أصبح يقتصر على دراسة النقوش والأشكال والرسوم والأقواس والزخرفة... دون إمعان النظر فيما يحمله هذا الفن من روح تشريعي ونسق تنظيمي له كبير الأثر في بناء العلاقات الإنسانية وتحقيق التكامل بين أفراد المجتمع والمحافظة على حقوق بعضهم بعضا.

خاتمة:

يختص فن العمارة الإسلامية بتهيئة البيئة المادية وكيفيات تشييد المنازل والمنشآت العامة بما يتوافق مع قيم المسلمين وحضارتهم، إلى جانب عمارة الأرض بكل ما يصلحها ويحييها.

ويعد فن العمارة الإسلامية جانبا من هوية الأمة المسلمة ومظهرا من مظاهر ثقافتها، إلا أن الحضارة الغربية المادية غزت هذا الجانب وخصصت له مساحة هائلة من اهتماماتها بهدف تجريد الأمة الإسلامية من هويتها الحضارية وقيمها الأصيلة، وقد ولّد هذا الغزو في الواقع أبنية سكنية معاصرة يغلب عليها الطابع المفتوح للخارج ولا تراعي قيم الخصوصية والحرمة مما قد يؤدي إلى ردود فعل سلبية ونشوء خصومات بين الجيران.

فإذا أردنا تحقيق رفاهية الإنسان وأمنه النفسي فعلى المتخصصين مراجعة منظومتنا العمرانية المعاصرة وتنمية الوازع الديني للإنسان والتقيد بمجموعة الضوابط والقيم التي تستمد روحها من مقاصد الشريعة الإسلامية في مجال البناء والعمران لضمان استمرارية موروثنا الحضاري العمراني.

الهوامش:

[1]– الزبيدي محمد مرتضى بن محمد الحسيني أبو الفيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، 129/13.

[2]– قلعه جي محمد رواس وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط2، 1408هـ/ 1988م، 321/1؛ الزمخشري محمود بن عمرو، أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1419هـ/ 1998م، 678/1.

[3]– ابن منظور محمد بن مكرم جمال الدين أبو الفضل، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 604/4.

[4]– معروف بالحاج بن بنوح، العمارة الإسلامية مساجد مزاب ومصلياته الجنائزية، دار قرطبة، الجزائر، ط1، 1428هـ/ 2007م، ص 13–14.

[5]– إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، 627/2.

[6]– البهنسي عفيف، العمارة والمعاصرة، دار الشرق، دمشق، 2005م، ص 07.

[7]– عرفان سامي، نظريات العمارة، مؤسسة طباعة الألوان المتحدة، القاهرة، 1967، ص 10؛ الغزالي صالح بن أحمد، حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية دراسة فقهية موازنة، دار الوطن الرياض، ط1، 1417، ص 412.

[8]– الزبيدي، تاج العروس، 131/13.

[9]– المنتار محمد، "علاقة الإيمان بالعمران في الرؤية القرآنية"، التفاهم، العدد 43، 1435هـ/ 2014م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ص 20.

[10]– ملكاوي فتحي حسن، منظومة القيم العليا التوحيد والتزكية والعمران، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هرندن، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط1، 1434هـ/ 2013م، ص 153.

[11]– ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، 405/9؛ الزمخشري محمود بن عمرو أبو القاسم، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ، 325/3.

[12]– أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، 175/6.

[13]– ابن عاشور، التحرير والتنوير، 29/27.

[14]– البخاري محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1409هـ/ 1989م، حديث رقم: 479، باب اصطناع المال،

168/1، قال الألباني: صحيح؛ أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/ 2001م، حديث رقم: 12981، 296/20، وإسناده صحيح على شرط مسلم.

[15]– عزب خالد محمد، "جوانب مجهولة من فقه العمران في الحضارة الإسلامية"، أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية: الفقه الحضاري، فقه العمران، سلطنة عمان، 1431هـ/ 2010م، ط1، 1433هـ/ 2012م، ص 922.

[16]– مدرسة العمارة الإسلامية بجامعة أم القرى مكة المكرمة: البيئة والمنهج الدراسي: التقرير النهائي، رمضان 1403هـ، ص 11.

[17]– عبد الباقي إبراهيم، الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية وزارة الأوقاف المصرية، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية قليوب مصر، 1424هـ/ 2003م، ص 1004.

[18]– معروف بالحاج بن بنوح، العمارة الدينية الإباضية بمنطقة وادي مزاب من خلال بعض النماذج، أطروحة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، قسم الآثار، 1423هـ/2002م، ص 05.

[19]– وزيري يحي، العمارة الإسلامية والبيئة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، مطابع السياسة، الكويت، 1425هـ /2004م، ص 23.

[20]– عمار عبد الرحمن، العمارة الإسلامية في دمشق، دمشق عاصمة الثقافة العربية، 2008، ص 45؛ حريري، أسس تصميم المسكن في العمارة الإسلامية، ص 17.

[21]– عبد النور صالح بن عمر، مدخل إلى العمارة الإسلامية، معهد الهندسة المعمارية جامعة مستغانم، 1996م، ص 4.

[22]– الزحيلي وهبة بن مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418هـ، ص352؛ الغزالي، حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، ص 423–424.

[23]– القرطبي محمد بن أحمد أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ/ 1964م، 2508/04.

[24]– العبري عبد الله بن مبارك، عمارة البيوت وأحكامها في الإسلام دراسة فقهية مقارنة، ص 84. بريشي درويش، تطور المسكن الإسلامي في مدينة تلمسان دراسة فنية أثرية، رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2012/2011، ص 24.

[25]– نكب عن الشيء وعن الطريق: عدل عنه، ونكبه تنكيبا: عدل عنه واعتزله. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 770/1؛ الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ/ 1987م، 228/1.

[26]– ديوان حماية وادي مزاب وترقيته (OPVM)، المسكن التقليدي وعرف العمران بالقطاع المحمي لسهل وادي مزاب، دار الأمير للفنون الجميلة، ص 19.

[27]– الحديث رواه أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِي أَنَّ النَّبِيَّ ρ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَنَا مِنْ مَجْلِسِنَا بُدٌّ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ»، قَالُوا: مَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: «غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ». صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ/ 1993م، حديث رقم: 595، 356/2، قال الألباني: صحيح.

[28]– ينظر القرار الولائي لولاية غرداية المؤرخ في: 1996/01/24 المتضمن منع إنشاء المحلات التجارية داخل المجال السكني التاريخي للقصر (البلدة) العتيق لمدينة غرداية.

[29]– العبري، عمارة البيوت، ص 84.

[30]– ابن حموش مصطفى، جوهر التمدن الإسلامي دراسات في فقه العمران، دار قابس، لبنان، ط1، 2006م، ص 67.

[31]– مبارك علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية، 1979، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980، 214/1–216.

[32]– ابن حموش مصطفى، جوهر التمدن الإسلامي، ص 80.

[33]– عزب خالد محمد مصطفى، "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية"، كتاب الأمة، العدد 58، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 1417هـ/1997م، ص 19–20.

[34]– عزب خالد، "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية"، ص 28–30.